**عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات**

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

 ***إعداد / ميريهان مجدي محمود عبد المجيد***

***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

***شاه علم - ماليزيا***

***mirihan@mediu.ws***

**خلاصة هذا البحث فى : عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات**

**الكلمات الافتتاحيه : اهل ، الاسماء ، الجماعه**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات**

* ***.عنوان المقالة***

من الأصول التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة، عقيدتهم في الأسماء والصفات:

أهل السنة والجماعة، وسط في صفات الله تعالى بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل، فأهل التعطيل نفوا عن الله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات، وما أثبته له رسوله بدعوى أن إثباتها ينافي تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، فعطلوا حقائق ما نعت الله به نفسه حتى شبهوه بالعدم والموات.

وأهل التمثيل غالوا في الإثبات حتى شبهوا الحق بالخلق، فأهل التعطيل يعبدون عدمًا، وأهل التمثيل يعبدون صنمًا، أما أهل السنة والجماعة، فأثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه من الصفات، ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه من الصفات من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، فجماع قولهم: "إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل"، هذا ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، هي أشرف أنواع العلوم والمعارف، ولا تطمئن القلوب وتأنس، إلا بمعرفة معبودها سبحانه، وكذلك لا تصلح ولا تستقيم على الحق، إلا إذا آمنت بأسمائه وصفاته، وحققت ما يقتضيه ذلك الإيمان من يقين، وإخلاص، وخوف، ورجاء منه وحده سبحانه.

والسلف الصالح -رضوان الله تعالى عليهم- آمنوا بكل ما ورد في الكتاب والسنة، من أسماء الله وصفاته، وحققوا مقتضياتها، ولوازم الإيمان بها، فكانوا أكثر الناس علمًا بالله ومعرفة، كما كانوا أكثر الناس خشية له، وانقيادًا لأمره، واتباعًا لشرعه، وهم مع إثباتهم لكل أسمائه تعالى وصفاته، يؤمنون إيمانًا جازمًا بأنه تعالى لا مثل له، ولا شبيه، ولا ند، ولا شريك، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فهم يثبتون الصفات، وينفون التشبيه ويعتقدون كما أنه تعالى لا يماثله شيء من خلقه في ذاته لا يماثله شيء في صفاته، وكما أن وجوده تعالى لا يشبه وجود المخلوقات، فكذلك سائر الصفات، وفارق أهل السنة والجماعة في ذلك فريقان: فريق يثبت لله تعالى صفات كصفات المخلوقين، فيقولون: علمه كعلمنا، ويده كيدنا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهم يسمون المشبهة، وعلى هذا المذهب قدماء الشيعة والروافض.

وفريق ينفي صفات الله تعالى زاعمًا أن إثباتها يلزم منه التشبيه، فيقولون: ليس له وجه ولا يد ولا قدرة، ولا علم، وهؤلاء يسمون أصحاب التعطيل أو المعطلة، وهم درجات، ومن ينكر الأسماء والصفات جميعًا وهم الجهمية، ومن ينكر الصفات ويثبت الأسماء، فيقولون مثلًا: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وهم المعتزلة، ومن ينكر بعض الصفات، ويثبت بعضها، ويثبت الأسماء وهم الأشاعرة،

وهم ينكرون العلو، والاستواء، واليد، والغضب، والرضا، ونحوها، لكن أهل السنة والجماعة عرفوا المنهج الحق، والطريق الوسط، فآمنوا في باب الأسماء والصفات بما جاءهم عن الله وعن رسوله فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله من غير تحريفٍ ولا تكييفٍ ولا تأويلٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تعطيل.

فمنهج أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى:

إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، والمراد بالتحريف لغة: التغيير، واصطلاحًا: تغيير لفظ النص أو معناه، مثال الأول: { ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} [النساء: 164]، بنصب لفظ الجلالة، ليكون التكليم من موسى لا من الله.

ومثال تغيير المعنى، تغيير معنى استواء الله على عرشه، من العلو والاستقرار إلى الاستيلاء والملك؛ لينتفي معنى الاستواء الحقيقي، والتعطيل لغة: الترك والتخلية، واصطلاحًا: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات، إما كلية كتعطيل الجهمية، وإما جزئيًا كتعطيل الأشعرية الذين لم يثبتوا من صفات الله تعالى إلا سبع صفات مجموعة في قولهم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
|  حي عليم قدير والكلام له  | \* |  إرادة وكذلك السمع والبصر |

وأما معنى التكييف والتمثيل، فالتكييف: إثبات كيفية الصفة كأن يقول: استواء الله على عرشه كيفيته كذا وكذا، والتمثيل: إثبات مماثل للشيء، كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان، والفرق بينهما أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بالمماثل، والتكييف ذكرها غير مقيدة.

وأما عقيدة أهل السنة والجماعة، فأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، والتوقيفي: ما توقف إثباته أو نفيه على الكتاب والسنة، بحيث لا يجوز إثباته ولا نفيه إلا بدليل من القرآن والسنة، فليس للعقل في ذلك مجال؛ لأنه شيء وراء ذلك، وأسماء الله تعالى وصفاته من المحكم في معناها، فمعناها معلوم، ومن المتشابه في حقيقتها؛ لأن حقائقها لا يعلمها إلا الله.

وتنقسم صفات الله تعالى باعتبار الثبوت، وعدمه إلى قسمين: ثبوتية وهي التي أثبتها الله لنفسه، كالحياة والعلم، وسلبية وهي التي نفاها الله عن نفسه، كالإعياء والظلم، والصفة السلبية يجب الإيمان بما دلت عليه من نفي، وإثبات ضده، فقوله تعالى: { ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ} [الكهف: 49]، يجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده، وهو العدل الذي لا ظلم فيه، وتنقسم صفات الله باعتبار الدوام والحدوث إلى قسمين: صفات دائمة لم يزل ولا يزال متصفًا بها، كالعلم والقدرة، وتسمى صفات ذاتية، وصفات تتعلق بالمشيئة إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كنزوله إلى السماء الدنيا، وتسمى صفات فعلية، وربما تكون الصفة ذاتية فعلية لاعتبارين كالكلام، فإنه بالنظر إلى أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاده وأفراده التي يتكلم بها شيئًا فشيئًا صفة فعلية؛ لأنه يتعلق بمشيئته.

وأسماء الله تعالى أعلام، وأوصاف، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله وبالاعتبار الثاني متباينة؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، في الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الله لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا.

وصفات الله تعالى، كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، والواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها، وظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار آخر، باعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة، وبذلك يكون التفويض في علم معاني نصوص الصفات، ليس من مذهب السلف لأنهم قد أثبتوا المعاني لهذه النصوص إجمالًا وتفصيلًا، وإنما لتفويضهم للكيفية، فقد جعلوا ذلك إلى علم الله تعالى وحده.

وطريقة القرآن والسنة في صفات الله تعالى هي الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات غالبًا؛ لأن الإجمال في النفي أكمل وأعم في التنزيه من التفصيل، والتفصيل في الإثبات أبلغ وأكثر من المدح في الإجمال؛ ولذلك نجد الصفات الثبوتية كثيرة في الكتاب والسنة، كالسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والغفور، والرحيم... إلى آخره.

أما الصفات السلبية، فهي قليلة مثل نفي الظلم، والتعب، والغفلة، والولادة، والمماثل، والند، والمكافئ، وفي عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، يؤمنون بأن الله تعالى: { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ} [الشورى: 11، 12]، ويؤمنون بأن الله عَلِيٌّ على خلقه بذاته، وصفاته؛ لقوله تعالى: { ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ} [البقرة: 255]، وقوله تعالى: { ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ} [الأنعام: 18].

ونؤمن بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يدبر الأمر، واستواؤه على العرش علوه عليه بذاته علوًا خاصًا يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إلا هو، ونؤمن بأن الله تعالى مع خلقه، وهو على عرشه يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم ويدبر أمورهم، يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ} ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم: "إنه مع خلقه في الأرض، ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص".

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: ((من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)) فهو إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ }[الشورى:11]، ففي قوله: { ﭡ ﭢ ﭣ} رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: { ﭥ ﭦ ﭧ } رد للإلحاد والتعطيل؛ ولهذا إذا سمى الله نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، فلا يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما، واتحاده عند الإطلاق والتجريد، فلابد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته بخلقه.

هذا؛ والقول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، أو إثبات بعض الصفات إثبات للباقي، والقول بالصفات كالقول بالذات، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله الصفات الذاتية، كالوجه { ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ} [الرحمن: 27].

واليد { ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ } [المائدة: 64]، { ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ } [ص: 75]، والعين: { ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ } [طه: 39]، { ﰂ ﰃ} [الطور: 48]، وإن وردت كلمة اليد والعين بالإفراد والتثنية والجمع، فمثال الإفراد: { ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ} [الملك: 1]، ومثال التثنية { ﯯ ﯰ ﯱ} ومثال الجمع { ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ} [يس: 71]، فالجمع بين هذه الوجوه أنه لا منافاة بين الإفراد والتثنية؛ لأن المفرد المضاف يعم، فإذا قيل: يد الله، وعين الله شمل كل ما ثبت له من يد أو عين، وأما التثنية والجمع، فلا منافاة بينهما؛ أيضًا لأن المقصود بالجمع هنا التعظيم، وهو لا ينافي التثنية.

ونثبت لله السمع { ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} [البقرة: 137]، ويكون على قسمين: بمعنى الإجابة { ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ} [إبراهيم: 39]، وبمعنى إدراك المسموع؛ لقوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ} [المجادلة: 1]، وقد يراد مع إدراك المسموع النصر والتأييد، كقوله تعالى لموسى وهارون -عليهما السلام-: { ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} [طه: 46].

وقد يراد به أيضًا التهديد {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ} [آل عمران: 181]، وكقوله تعالى: { ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ} [الزخرف: 80]، ونثبت الرؤية لله في مثل قوله تعالى: {ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} وقوله:{ ﭥ ﭦ ﭧ} وتكون الرؤية بمعنى البصر، أي: إدراك المرئيات والمبصرات { ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} وبمعنى العلم { ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ} [المعارج: 6، 7]، أي: نعلمه.

وقد يراد من الرؤية مع إدراك المرئي، النصر والتأييد، كقوله تعالى: { ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ} وقد يراد به أيضا التهديد، كقوله تعالى: { ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ} [العلق: 14].

ويؤمن أهل السنة والجماعة بصفة الكلام لله وأنه صفة من صفاته تعالى، لم يزل ولا يزال يتكلم بكلام حقيقي، بصوت لا يشبه أصوات المخلوقين بحروف، يتكلم بما شاء، وكيف شاء، وأدلتهم على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} [النساء: 164]،{ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ} [الأعراف: 143]، والدليل على أنه بصوت { ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ} [مريم: 52].

ومن السنة قول النبي : ((يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة)) الحديث.

ودليلهم على أن الكلام بحروف، قوله تعالى: {ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} [البقرة: 35]، فمقول القول هنا حروف، ودليلهم على أنه بمشيئة، قوله تعالى: {ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ} فالتكليم حصل بعد مجيء موسى# وكلام الله تعالى صفة ذاتٍ باعتبار أصله، فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال قادرًا على الكلام متكلمًا، وصفة فعل باعتبار آحاده؛ لأن آحاد الكلام تتعلق بمشيئته متى شاء تكلم.

ويثبتون لله تعالى صفة القدم؛ للحديث: ((لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله)) وفي رواية: ((يضع رب العزة عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط)). متفق عليه.

وفسر أهل السنة الرِّجل والقدم بأنها حقيقة على الوجه اللائق بالله تعالى، وفسر أهل التأويل الرجل بالطائفة، أي: الطائفة الذين يضعهم الله في النار، والقدم بالمقدمين إلى النار، ويرد عليهم بأن تفسيرهم مخالف لظاهر اللفظ، وإجماع السلف، وليس عليه دليل. وكذا جاءت بلفظ الساق، في قوله تعالى: { ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ} [القلم: 42]، وقد فسرها حديث النبي : ((يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...)) إلى آخر الحديث.

وما ذكر عن ابن عباس في الآية: "هو يوم القيامة يوم كرب وشدة"، فإن كلامه عن معنى اليوم، ولا يتنافى مع ذكر الساق ولا يتعارض؛ ولأن تفسير الحديث للآية واضح، وهو خير أنواع التفسير، فالرسول وهو المبلغ عن ربه، وأعلم بتفسير كلام الله ومراده وقد أثبت الساق لله، في قوله: ((يكشف ربنا عن ساقه)) فهل يجوز لمسلم أن يترك تفسير الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، ويأخذ بتفسير غيره المعرض للخطأ؟.

هذا ويؤمن أهل السنة والجماعة بإثبات الصفات الفعلية لله تعالى، كمحبة الله، في قوله تعالى: { ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} [المائدة: 54]، والود أيضًا {ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ} [البروج: 14]، والمغفرة والرحمة { ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﮃ } [الفرقان: 70].

رحمة عامة { ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ } [غافر: 7]، {ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ } [الأعراف: 156]، وخاصة تخص المؤمنين {ﰑ ﰒ ﰓ } [الأحزاب: 43]، ويؤمنون بصفة الرضا { ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} [البينة: 8]، والغضب { ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ } [النساء: 93]، والكراهة { ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} [التوبة: 46]. والسخط { ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ } [محمد: 28]، والمقت { ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ } [الصف: 3]، والأسف له معنيان؛ أحدهما: الغضب، وهذا جائز على الله، ودليله { ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ } [الزخرف: 55]، أي: أغضبونا، والثاني: الحزن، وهذا لا يجوز على الله أن يوصف به؛ لأن الحزن صفة نقص، والله منزه عن النقص.

ولا يجوز تفسير الرضا بالثواب، والغضب بالانتقام، والكراهة والمقت بالعقوبة؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل.

وفي الصفات الفعلية؛ المجيء والإتيان { ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ } [الفجر: 22]، { ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ } [البقرة: 210]، والنزول: ((ينزل ربنا إلى السماء كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر)) والفرح: ((لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم)) والضحك ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة)) والعجب ((لقد عجب الله من فلان وفلان...)) الحديث.

وكل هذا في منهج أهل السنة والجماعة، يفسر على أنه فرح حقيقي، أو ضحك حقيقي، أو عجب حقيقي، يليق بالله لا نعلم كنهه، ولا نعرف كيفه، ولا نتأوله بمعنى الثواب، أو الجزاء، أو غير ذلك مما يخالف ظاهر النص والإجماع واللغة، ويؤمن أهل السنة والجماعة بإثبات صفة العلو لله والاستواء والمعية، وأنه تعالى في السماء، والعلو بمعنى الارتفاع، وهو على ثلاثة أقسام: علو الذات، ومعناه: أن الله بذاته فوق خلقه، وعلو القَدْر، ومعناه: أن الله ذو قدر عظيم لا يساويه فيه أحد من خلقه، ولا يعتريه معه نقص، وعلو القهر، ومعناه: أن الله تعالى قهر جميع المخلوقات، فلا يخرج أحد منهم عن سلطانه وقهره، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: { ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ} [البقرة: 255]، { ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ } [الأعلى: 1]، { ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ } [النحل: 50]، { ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ } [طه: 5]، {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ } [الملك: 16].

وفي السنة حديث الجارية، وحديث أن النبي كان يرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكتها إلى الناس، ويقول: ((اللهم اشهد)) وعلى هذا إجماع سلف الأمة، والعقل يؤكد أن العلو صفة كمال، وأن الله متصف بكل كمال، فوجب ثبوت العلو له، وأما الفطرة فإن كل إنسان مفطور على الإيمان بعلو الله؛ ولذلك إذا دعا ربه وقال: يا رب، لم ينصرف قلبه إلا إلى السماء.

وقد أنكرت الجهمية من أقسام العلو علو الذات، ونرد عليهم بما سبق من الأدلة، وأن الله هو مستو على عرشه، وهو في سمائه بمعنى في علوه، أو على سمائه، مستو على عرشه، بائن من خلقه، فالله ليس داخلًا في المخلوقات، بل هو مباين لها.

والله فوق العالم، فوق خلقه لا يحيط به شيء من مخلوقاته { ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ} [الزمر: 67]، وثبت في الصحيح أن النبي قال: ((يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟)) وفي حديث آخر: ((وإنه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة)) وفي حديث ابن عباس ((ما السموات السبع والأراضون السبع، وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)) أخرجه ابن جرير بإسناد صحيح موقوف على ابن عباس.

والله مستو على عرشه، واستواء الله على عرشه علوه واستقراره عليه، وقد جاء عن السلف تفسيره بالعلو، والاستقرار، والصعود، والارتفاع، والصعود والارتفاع يرجعان إلى معنى العلو، والعرش لغة: سرير الملك الخاص به، وشرعًا: ما استوى الله عليه، وهو من أعظم مخلوقات الله بل أعظم ما علمنا منها، فقد جاء في الحديث عن النبي أنه قال: ((ما السموات السبع والأراضون السبع بالنسبة إلى الكرسي، إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على تلك الحلقة)).

وجاء في الحديث: ((ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)) وقد قال الله تعالى عن العرش: { ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ } [البقرة: 255]، قال ابن عباس: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى"، وهو مستغنٍ عن عرشه، وما دونه محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه؛ لأن الله غني عن العالمين، ولو أن جميع الخلق انقادوا إليه ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن جميع الخلق عصوه ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، واستواء الله على عرشه ليس لحاجة إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي محيطًا به حاملًا له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه، ولا يجوز أن يتوهم متوهم أنه سبحانه إذا وصف بالاستواء على العرش، كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام، فيتخيل أنه إذا كان مستويًا على العرش كان محتاجًا إليه، كحاجة المستوي على الفلك والأنعام، فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها، ولو عثرت الدابة لخر المستوي عليها، فقياس هذا أنه لو سقط العرش لسقط الرب، عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض، وليست مفتقرة إليها، فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك من احتياج أو حمل أو افتقار أو نحو ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل إليه وغناه هو سبحانه عن العرش، وإحاطته به، فهو سبحانه فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش، وحملته وغناه عن العرش وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش وعدم حصر العرش له، فهو استواء يخصه الغني عن كل ما سواه فليس العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي وعظمته، الكل محمول بلطف قدرته، محفوظ بإرادته ومقهور في قبضته.

وإذا كان الله له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات، فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما }: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة"؛ لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه، وإذا قيل: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه، واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته.

ويا من جهلت كنه نفسك، وجهلت الروح، وهي موجودة، وجهلت نعيم الجنة فلا تعرف كنهه وكل ذلك مخلوق، فكيف تريد أن تحيط علمًا بالخالق جل وعلا؟!

ونؤمن نحن أهل السنة والجماعة، بمعية الله تعالى { ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ } [الحديد: 4]، والمعية هنا عامة وخاصة، عامة: شاملة لجميع الخلق، كقوله تعالى: { ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ } ومقتضى المعية هنا الإحاطة بالخلق علمًا، وقدرة، وسلطانًا، وتدبيرًا، وخاصة: تختص بالرسل وأتباعهم، في مثل قوله تعالى: { ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ } [التوبة: 40]، وقوله تعالى: { ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆﰇ } [النحل: 128]، فتفيد مع المعية النصر، والتأييد، والجمع بين المعية، والعلو من وجهين:

أولًا: أنه لا منافاة بينهما في الواقع، فقد يجتمعان في شيء واحد؛ ولذلك نقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أنه في السماء.

الثاني: أنه لو فرض أن بينهما منافاة في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق؛ لأنه ليس كمثله شيء، وهو بكل شيء محيط، فليس معنى قوله: { ﭮ ﭯ} أنه مختلط بخلقه، فإن هذا لا توجبه اللغة، بل هو سبحانه فوق عرشه، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم مطلع عليهم، فهو معنا وهو على عرشه؛ لأنه علِيٌّ في قربه، وقريب في علوه، ولا يقاس الله في ذلك بخلقه؛ لأنه { ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ } [الشورى: 11].

واعلم عبد الله أن ما عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء، وكما قال الشافعي: "القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: إقرار شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء..."، وذكر الاعتقاد.

وقال أحمد بن حنبل: "الله فوق السماء السابعة على عرشه، بائن من خلقه، وقدرته وعلمه في كل مكان، علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة".

سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، تعالى وتقدس عن الأشكال والرسوم والأجسام والفهوم، فوق ما يدور في الظنون أو يتوهمه المتوهمون، فصاحب الصنعة أدرى بأحوال صنعته، والصنعة لا تعلم عن صاحبها شيئًا إلا ما أعلمها هو عن ذاته، وما يدبره في مملكته، وقد عجزت النملة أن تدرك ما الجمل، وعجز الطفل أن يدرك ما هو الرجل، والكل لله مخلوق، فأنى للمخلوق أن يحيط علمًا بالخالق جل وعلا.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**